اول مناسبة استخدم فيها معادو السامية الصهاينة كادوات طيعة في تنفيذ سياساتهم الرجعية والعنصرية . وكما ذكرنا آنفا ، لم تكن معرفة جوزيف شمبرلن عن يوغندة عندما تقدم بعرضه الى هرتزل تزيد في شيء عن معرفة بلفور عن فلسطين عندما أصدر وعده . بيد أن فرقا جوهريا قد ميز بين الحالتين وهو ان فلسطين لم تحتو على مستعمرين بيض بينما احتوت يوغندة على مستعمرين من الانكلوسكسون ممن لم يكونوا مستعدين لتحمل اليهود قرب منازلهم. وبمجرد ان قرأ غرينبرغ رسالة اللورد لانسداون، وزير الخارجية، الى المؤتمر الصهيوني السادس في ٢٦ آب (اغسطس) هبت عاصفة من الاحتجاج من افريقيا الشرقية . ونشرت صحيفة التايمس اللندنية برقية من اللورد دلامير في ٢٨ منه بعنوان نيروبي ، يوغندة. ونورد النص الكامل للبرقية لما يتضمنه من المفاهيم الاستعمارية والمعادية لليهود مما كان سائدا في أذهان الاستعمار الغربي آنئذ : « المشاعر هنا عنيفة ضد ادخال اليهود الاجانب . جانب سكة الحديد يصلح لاستيطان بريطاني ٢٦٠ ميلا . وزارة الخارجية تقترح اعطاء احسن ٢٠٠ ميل لاجانب غير مرغوب فيهم . الهذا الغرض بنيت السكة الباهظة الثمن وانفقت المبالغ الجسيمة على البلد ؟ فيض من اناس بهذه الشاكلة يؤدي حتما الى مشاكل مع المواطنين نصف المتوحشين الحريصين على حقوقهم ويعني مزيدا من الرجال للسيطرة عليهم . هل يرضى دافع الضريبة البريطاني المالك لافريقيا الشرقية ان يعطي بلدا جميلا وغنيا الى أجانب ؟ أما عندنا من مستعمرين استيطانيين من جنسنا ؟ البلاد يجري استصلاحها وايطانها تدريجيا وباحكام بواسطة مستعمرين بريطانيين . الانكليز هنا يهيبون بالرأي العام ولا سيما رأي من يعرف هذه البلاد ضد هذا التصرف الاعتباطي واغراق البلاد ومستقبلها الباسم . »(٩)

وسرعان ما تبع ذلك سيل من الاحتجاجات بما فيها برقية من اتحاد المزارعين وملاك البساتين وأخرى من لجنة المستوطنين في نيروبي تهدد « بمقاومة المشروع بكل ما اوتيت من قوة »(١٠) وبعث اسقف مباسا بعريضة في ٨ ايلول (سبتمبر) الى حاكم افريقية الشرقية ، السر شارلس اليوت ، يمزج فيها الدين والاستعمار مزجا طريفا . بدأ الاسقف عريضته بالاشارة الى الاراضي الثمينة الممتدة على طول سكة الحديد والتي ينبغي عدم التفريط بها بتسليمها الى بعض « اليهود المنحطي المنزلة » ، ممن سيصبحون « أثرا سيئا على القبائل الافريقية سياسيا وأخلاقيا ودينيا » . وقام الحاكم البريطاني بتحويل العريضة المسهبة الى وزارة الخارجية طي كتاب منه يتعاطف مع العريضة ويعرب عن شكوك الحاكم حول المشروع وعن مخاوفه من اندلاع النزاع بين اليهود والمستوطنين البيض .

وفي لندن ، أثار نداء اللورد دلامير الموجه الى من عرفوا البلاد من الانكليز همة الخبراء في الشؤون الافريقية وعلى رأسهم السر هاري جونستن، الرحالة الكبير والخبير في افريقيا، فشن حملة ضد المشروع في سلسلة من المقالات والرسائل التي نشرها في التايمس والديلي غرافك . وعمد في احدى رسائله الى اخافة اليهود بالكركدن الذي فتك بالمستوطنين البيض.(١١) ويتضح اثر حملته في اليهود من الحيز الذي أعطته له صحيفة الجويش كرونكل ، صحيفة الطائفة اليهودية في بريطانيا . ونشرت الجويش كرونكل مقابلة صحفية معه نصح اليهود فيها بترك افريقيا جانبا . وقد بدأ تصريحاته بنفي صفة معاداة السامية عن نفسه وبحبه لليهود (وهو ما يعني عادة نقيض ذلك) ثم نقل الحديث الى الثروة الامبراطورية التي تكمن في يوغندة فتساءل عن العدالة التي عنت بالنسبة له آمال المستوطنين الانكليز . أمن العدل ، مضى السر هاري مستغربا ، ان تعطى ارض كسبتها انكلترا بأموالها ودمائها الى شلة من الاجانب ؟ وقدر جونستن مساحة المنطقة المعنية بـ ٢٣،٠٠٠ ميل مربع لا يصلح منها للاستثمار غير ١٨،٠٠٠ ميل مربع ، وهو ما لا يكاد يكفي للاستيطان الاوربي (أي غير اليهودي) . وفي ختام حديثه أشار على اليهود بالتوجه الى فلسطين فذكر مدعيا : « لقد كان من مشاريعي المحببة الى نفسي وما زال